الفصل الثالث

الحـرب فـى آسيـا

"عندما تم تفجير أول قنبلة ذرية في "الاموجـوردو" بمدينـة نيو مكسيكو، يوم ١٦ يوليه ١٩٤٥، وصلت درجة الحرارة عند نقطة الصفر علي الأرض إلي ١٠٠ مليون درجة فهرنهايت، وهو رقم يعادل ثلاثة أمثال درجة الحرارة داخل الشمس، وعشرة آلاف مرة قدر الحرارة علي سطح الشمس. لقد اختفت كل آثار الحياة من نبات وحيوان، في محيط دائرة قطرها ميل مكعبر من نقطة الصفر. إن الجنرال "لزلي جروفز" مدير مشروع "مانهاتن" للقنبلة الذرية استدار نحو نائبه قائلا: "لقد انتهت الحرب.. يكفي واحدة أو اثنتين من هذه الأشياء للإجهاز علي اليابان"

(جوردون توماس وماكس مورجان ـ ويتس، إنولاجاي)

إن إحدى الحقائق الأساسية التى اتسمت بها حرب المحيط الهادى، هى أنه عند توقف إطلاق النار لم تكن توجد قوات أمريكية تحتل أياً من الدول الآسيوية الكبرى مثل الهند الصينية، أو كوريا، أو بورما، أو الهند، أو الصين. وكانت معظم السياسة الخارجية الأمريكية بعد الحرب مصممة لتعويض وتأمين مراكز قوة للقوات المسلحة الأمريكية فى قارة آسيا، بهدف تشكيل مستقبل تلك المنطقة. ولكن المحاولة فشلت فى الصين، وفى شمال كوريا، والهند الصينية، ولم تستطع أمريكا أن تحقق بعد ١٩٤٥، ما لم تستطع تحقيقه خلال الحرب.

لقد فشلت أمريكا فى النزول فى الجزء الرئيسى من قارة آسيا، لأن قواتها البرية لم تكن كافية لتولى عمليات حربية برية واسعة النطاق فى كلّ من أوروبا وآسيا فى نفس الوقت. وفضلاً عن هذا فقد كانت هناك قيود عسكرية أخرى، إذ كانت المسافة بين الولايات المتحدة وآسيا تقرب من ضعف المسافة بينها وبين أوروبا، ويعنى ذلك أن المهمة التى تنجزها سفينة واحدة من أمريكا إلى أوروبا، تستلزم سفينتين لأداء نفس المهمة من أمريكا إلى آسيا. كذلك كان هناك نقص فى البواخر التجارية حتى الشهور الأخيرة من الحرب. ولقد كرست الولايات المتحدة ما يقرب من ٤٠ ٪ من إجمالى جهودها الحربية ـ فى الحرب العالمية الثانية ـ للعمليات الدائرة فى مسرح الحرب فى المحيط الهادى، إلا أن عمليات الشحن كانت تلتهم القدر الأعظم من تلك الجهود. وبذلك كان حجم القوات ـ التى كان يمكن للولايات المتحدة حشدها ـ أقل كثيرا فى آسيا عن أوروبا، ولذلك اتجهت الاستراتيجية المتبعة فى المحيط الهادى إلى تجنب المواقع اليابانية المنيعة، وإلى بدء عمليات تضمن المحافظة على الأرواح والمعدات.

واتبعت الولايات المتحدة استراتيجية ثانوية فى المحيط الهادى، بحيث تتجنب القوات الرئيسية للجيش اليابانى. وكانت هناك أسباب عسكرية مهمة وراء هذه السياسة، إلا أنه بالرغم من أن السياسة التى اتبعتها قوات أمريكا فى غزو الجزر فى المحيط الهادى واحدة بعد أخرى قد نجحت فى تواجد الجيش والبحرية الأمريكية بالقرب من الجزر اليابانية نفسها، إلا أنه كان لها ثمن سياسى، دفعته أمريكا. لقد ترتب على عملية تضييق الخناق على الألمان فى أوروبا فوز الولايات المتحدة بمرابطة قوات أمريكية فى ميناء انتويرب وباريس وروما، بينما ترتب على عملية تضييق الخناق على اليابانيين فى آسيا أن سيطرت الولايات المتحدة على عدة جزر غير مهمة نسبياً.

لقد كانت السياسة العسكرية الأمريكية فى المحيط الهادى موجهة لتحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية، وإن تم ذلك بشكل سلبى فقط. فقد كانت الجهود

العسكرية مكرسة لتدمير اليابان، ومن المؤكد أن ذلك الهدف حاز على أكبر قدر من الاهتمام، إلا أن مجرد صـّد اليابانيين لم يكن كافيا، إذ تجلى بوضوح ـ بينما الحرب مستمرة ـ إن اعادة نظام الحكم القديم فى آسيا إلى ما كان عليه، سيكون أمراً فى غاية الصعوبة، إن لم يكن مستحيلاً. كما أن «روزفلت» كان عازفاً عن عودة الأمور إلى ما كانت عليه فى آسيا؛ فقد كان معارضا حقيقيـًا للاستعمار بشكله التقليدى، ولذا أراد خروج البريطانيين من الهند، والهولنديين من جزر الهند الشرقية (التى عرفت فيما بعد باسم أندونيسيا)، والأمريكيين من الفلبين، والفرنسيين من الهند الصينية*.

لقد كانت المشكلة بالنسبة للأمريكيين هى شكل الاستقلال، ففى هذه المنطقة ـ كما كان الوضع فى أوروبا ـ تؤدى الحيازة المسلحة أى منح السلطة وباستثناء الوضع فى اليابان والفلبين وجزر الهند الشرقية (التى عرفت فيما بعد بأندونيسيا)، فإن هذه السلطة لم تكن لتتركز فى يد الأمريكيين.

هذه الحقيقة أثارت احتمال أن يحل الشيوعيون مكان الحكام الاستعماريين القدماء، وأن هؤلاء الشيوعيين قد يبعدون الأمريكيين عن آسيا، مثلما فعل اليابانيون. وكان التحدى الذى واجه صانعو السياسة الأمريكية هو كيفية التوصل (فى آن واحد) إلى طرد اليابانيين، ومنع عودة الاستعمار الأوروبى، وتشجيع نمو الحكومات المحلية الديموقراطية والرأسمالية، دون بذل المجهود اللازم لإقحام القوة العسكرية فى المنطقة. إن ما حدث فى الصين والهند الصينية وكوريا الشمالية، أثبت استحالة مواجهة مثل ذلك التحدى.

لقد اجتمعت الأولويات الأمريكية مع الضروريات العسكرية، فى تشكيل الأحداث التى وقعت فى آسيا. وكما كان الوضع فى أوروبا، كانت الأولوية الأولى هى هزيمة العدو، وتلتها أهمية العمل على رفع الصين بقيادة «تشيانج كاى ـ تشيك»

* لقد أخذت الولايات المتحدة عهداً على نفسها، منذ وقت طويل بمنح الفلبين استقلالها فى ٤ يوليو ١٩٤٦، وهو عهد حافظت عليه.

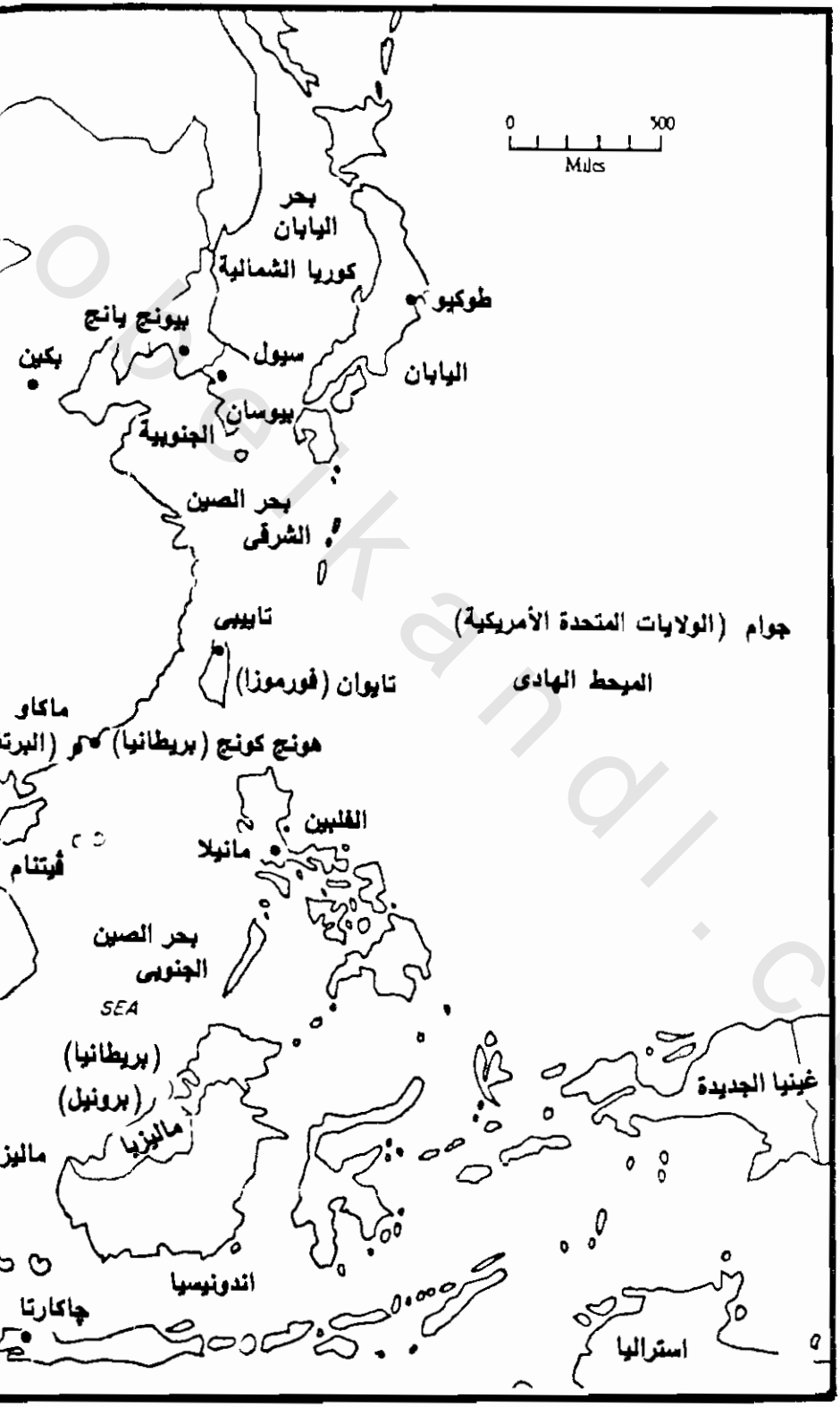
0
500
Miles
بحر
اليابان
كوريا الشمالية
طوكيو
بيونج يانج
سيول
بكين
اليابان
بيوسان
الجنوبية
بحر الصين
الشرقى
تايبى
جوام (الولايات المتحدة الأمريكية)
تايوان (فورموزا)
المحيط الهادى
ماكاو
هونج كونج (بريطانيا)
الفلبين
مانيلا
ڤيتنام
بحر الصين
الجنوبى
SEA
(بريطانيا)
(برونيل)
غينيا الجديدة
ماليزيا
اندونيسيا
چاكارتا
استراليا

اتحاد الجمهوريات السوفيتية
كوريا
يولان باتور
منغوليا
أفغانستان
كابول
كاشمير
إسلام آباد
باكستان
الصين
نيودلهى
نيبال
كاتامندو
بيوتان
دكا
بنجلادش
الهند
بوريا
هانوى
لاوس
فينتيان
تايلاند
رانجون
بانجكوك
كمبوديا
رنبوم بنه
مدينة هوتش
(سايجون)
المحيط الهندى
سرتيلانكا
كولومبو
خليج البنغال
كوالا لامبور
سنغافورة
آسيا فى ١٩٩٠

و«حزب الكومينتاج» إلى مرتبة الدول العظمى؛ الأمر الذى تطلب تدعيم سيطرة «تشيانج» على الصين. وهو الوضع الذى حاربه الشيوعيون بقيادة «ماوتسى ـ تونج»، اليابانيون، الذين احتلوا معظم ساحل الصين. لقد كان «تشيانج» قائدا منحرفا وديكتاتورياً وغير كفء، ولكنه كان أيضا صديقاً للغرب. وبصرف النظر عن مدى رغبة الأمريكيين فى أن يحكم «تشيانج» الصين، فلم يكن فى مقدورهم أن يساندوه بشكل إيجابى دون توريط قوات أمريكية هناك، الأمر الذى حالت دونه الحقائق العسكرية التى فرضت عدم إرسال أعداد ضخمة من القوات الأمريكية إلى الصين.

لقد جاءت السياسة الأمريكية فى آسيا انعكاساً للضروريات العسكرية والصراع الشخصى والدوافع السياسية. وبعد التقهقر من الفلبين ـ فى أوائل ١٩٤٢ ـ قام الأمريكيون بتأسيس قاعدة للعمليات فى أستراليا، بالإضافة إلى القاعدة الموجودة فعلاً فى وسط المحيط الهادى فى جزر «هاواى»

إن كبار رجال الجيش والبحرية لم يكونوا على وفاق فيما بينهم، مما أدى إلى تقسيم المنطقة إلى ميدانين للحرب، أحدهما جنوب غربى المحيط الهادى المسئول عنه الجيش تحت قيادة الجنرال «دوجلاس ماك آرثر»، والميدان الثانى وسط المحيط الهادى والمسئول عنه البحرية بقيادة «الأميرال تشستر نيميتز». وكانت قاعدة «ماك آرثر» فى أستراليا، وكان هدف استراتيجيته التحرك شمالاً للوصول إلى اليابان عبر جزر الهند الشرقية (أندونيسيا الآن) والفلبين وفورموزا. أما «نيميتز» فى جزر هاواى، فقد أراد التقدم غرباً عبر وسط المحيط الهادى. وفى النهاية تم الاعتماد على الخطتين.

وعندما طار «ماك آرثر» من «باتان» ووصل إلى استراليا، فى فبراير ١٩٤٢، أعلن «إننى سوف أعود» إلى الفلبين*، فاعترض كبار ضباط البحرية لأنهم شعروا أن

* أعجبت وزارة الحربية بهذه العبارة، ولكنها رأت أنها يجب أن تقول: «سوف نعود» بافتراض أن «ماك آرثر» سوف يحتاج للمساعدة لكنه رفض تغيير العبارة، وبالتالى ظلت عبارة «سوف أعود» كما هى.

حجم الجهد المطلوب للعودة إلى الفلبين لايستحق المعدات والرجال المطلوبين لنصرة العملية، وكانت البحرية ترغب فى تجاهل الفلبين والتوجه مباشرة إلى فورموزا، أو التركيز فقط على منطقة وسط المحيط الهادى. إن ناقدى «ماك آرثر» الذين تزايد عددهم، كانوا مؤمنين أن السبب الوحيد وراء عودة الولايات المتحدة إلى الفلبين (أواخر ١٩٤٤)، كان لتعزيز مكانة «ماك آرثر» الشخصية.

وكان غرور «ماك آرثر» كبيراً، ولكن رغبته فى العودة الى الفلبين لم تكن لمجرد إرضاء غروره فقط، فقد كان يرى أن تورط الولايات المتحدة فى حرب برية ـ فى آسيا ـ يعد ضرباً من الجنون. ولقد كانت هذه هى وجهة نظره العسكرية التى دعمت إيمانه بأنه يجب على الولايات المتحدة السيطرة على الجزر النائية، خاصة الفلبين واليابان. فقد كان معلوماً للجميع أنه إذا ما قررت الولايات المتحدة التخلى عن الفلبين، فإنها ستواجه احتمال أن تؤول السلطة إلى «هوكبالاهاب»، وهى منظمة حرب عصابات يقودها الشيوعيون. وقد يصبح من المستحيل اقتلاعها بعد ذلك، وبالتالى، فإنه وفقا لوجهة نظر «ماك آرثر» فإن غزو الفلبين كان بمثابة حل لتلك المشكلة. وفى ١٩٤٦، سلمت الولايات المتحدة مصير الفلبين إلى أصدقاء سمحوا بإنشاء القواعد العسكرية، وتدفق الاستثمارات الأمريكية إلى البلاد.

أما فى الصين، حيث لم تتواجد قوات أمريكية، كما حدث فى الفلبين، فلم تستطع الولايات المتحدة أن تسيطر على الأحداث، وتمنت أن يتمكن حزب «تشيانج» (الكومينتانج) من جذب الصين الى العالم الحديث، بصفتها مصدراً للمواد الخام، وسوقاً للسلع. لقد أدرك الأمريكيون أن تحقيق ذلك الهدف تطلب إصلاح «الكومينتانج» وتحرير سياسته، ولذلك شجعوا «تشيانج» على القضاء على الفساد المتفشى، وتسوية الخلافات مع «ماو» والشيوعيين، وإدخال إصلاحات ذات مغزى فى الملكية الزراعية، وتبنى الوسائل والطرق العصرية على نسق الحضارة الغربية.

عند محاولة تنفيذ ذلك البرنامج، وقعت أخطاء تكتيكية متعددة، ولكن أكثرها أهمية كان الخطأ الاستراتيجى. كان عماد ذلك البرنامج افتراضين مترابطين،

أولهما: هو رغبة «تشيانج» فى الإصلاح، وثانيهما هو قدرته على إجراء الإصلاحات. وقد ثبت أنه لم يكن هناك أى أساس لتلك الافتراضات، إلا أن الغالبية العظمى من الأمريكيين، كانوا مصابين بالرعب من الشيوعيين الصينيين، ولم يبد فى الأفق أى حل وسط بين «ماو» و «تشيانج»، وبالتالى اتجهت الأحداث الى نهاية مأساوية. لقد قدمت الولايات المتحدة قروضاً ضخمة إلى الصين، وغالباً ما كانت فى شكل نقدى مباشر، رغم التخوف من الفشل، حيث إنها فى واقع الأمر، كانت بمثابة رشاوى لـ«تشيانج»، وكبار مؤيديه الذين هددوا بترك الحرب ضد اليابان، إذا توقفت المساعدات، التى ظلت تتدفق بسبب رعب واشنطن من احتمال استسلام الصين.

طوال الحرب «كانت الأوضاع بائسة داخل جيوش «الكومينتانج»، وبينما نعم كبار الضباط بالرفاهية، عانى الجنود المتطوعون من أمراض مدمرة، ومن عدم كفاية الطعام، وعدم وجود أحذية أو معدات كافية (واحد بين كل ثلاثة كان يحمل بندقية دون ذخيرة). وسعى الضباط الأمريكيون إلى إجراء بعض التحسينات، لأنه لم يكن هناك مفر من استخدام موارد الصين البشرية الضخمة ضد اليابان.

وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك مشكلة الشيوعيين الصينيين، إذ كان «تشيانج» يستخدم أفضل قواته لمقاومة «ماو»، الذى نشر بدوره قوة قوامها ٢ مليون رجل، وبذا ظهر خطر وقوع حرب أهلية على أوسع نطاق. ولقد كانت مثل تلك الحرب مصدر خطر للأمريكيين، لسببين: أولهما، أنها ستؤدى إلى تخفيض عدد القوات التى يمكن دفعها لمحاربة اليابان، والثانى أنها قد تؤدى إلى الإطاحة «بتشيانج» وانتصار «ماو»، ولذلك حاول الأمريكيون الضغط على «تشيانج» لإشراك الشيوعيين فى الحكومة، وإغراء «ماو» بالتعاون مع «تشيانج». ولكن كلا الجانبين الصينيين، طالبا بعضهما بمطالب مستحيلة، فلم يتحقق أى شئ.

خلال المراحل الأخيرة للحرب تمكن «تشيانج» من الحصول على وعود روسية ـ نفذ معظمها ـ بعدم مساندة الصينيين الشيوعيين، وحث «ماو» على التعاون مع

«الكومينتانج»، وذلك فى مقابل موافقة «تشيانج» على تأجير ميناء «آرثر» للروس، وأن يكون ميناء «دايرن» ميناءً حراً، والاعتراف بسيطرة السوفييت على منغوليا العليا. وكما حدث فى أوروبا، كان «ستالين» ـ فى آسيا ـ قومياً متطرفاً، فبنى قراراته على أساس المصالح الروسية فقط، متجاهلا الأحزاب الشيوعية فى العالم، حتى وإن تطلب الأمر التعدى عليها أو خيانتها، وكان رأيه فى «ماو» أنه مغامر، ذا مشروعات جامحة، ستؤدى إلى إثارة غضب الغرب، وبالتالى إلى تعريض مكاسب الروس فى جنوب شرقى آسيا إلى الخطر، أما «ماو» فكان يعتقد أن «ستالين» خائن وجبان.

وهكذا استمرت السياسة الأمريكية فى محاولاتها، للتقريب بين «ماو» و «تشيانج» لمدة سنتين. وبعد انتهاء الحرب قام «ترومان» بإيفاد «مارشال» إلى الصين، فى محاولة أخرى للتقريب بين الزعيمين الصينيين، فحذره وزير الحربية «ستيمسون» قائلا «تذكر أنه لم يحدث أبداً أن أيد «تشيانج» فكرة الاتحاد مع الشيوعيين الصينيين؛ لأن ذلك كان يفوق حدود طاقته، إن إدارته كانت بمثابة مظهر خادع (يعم بالفساد) أمام جمهور الصينيين التابعين له». وبالرغم من تلك الواقعية، ومهما أعلن عن حيادية بعثة «مارشال» استمرت الولايات المتحدة فى تزويد «تشيانج» بالمساعدات المادية، التى لم تكن أبداً وافية؛ حيث إن منع انتصار «ماو» كان يتطلب احتلال أمريكا لكل الصين، وأى خطوة أقل من ذلك، لم تكن لتفى بالغرض. ومثل ذلك الاحتلال كان يتطلب ملايين الجنود الأمريكيين، وهو ما لم تكن الولايات المتحدة مستعدة له حتى فى أوروبا. ولذلك انتفى أى احتمال، ولو كان ضئيلا لاستعداد الشعب الأمريكى أو الحكومة الأمريكية لتقديم مثل تلك التضحية المطلوبة لإنقاذ «الكومينتانج».

أما عن استعداد «ستالين» للتعاون مع الأمريكيين فى آسيا فقد تعدى حدود الصين، فتمت أول مقابلة بين «روزفلت» و «ستالين» فى أوخر ١٩٤٣ فى طهران ـ إيران. لقد أدى نفور الرئيس الأمريكى من «ديجول» إلى تقوية معارضته للاستعمار الأوروبى بصفة عامة؛ مما دفعه إلى تقديم اقتراحه الخاص بالهند الصينية، الذى

تضمن وضع لاوس، وكمبوديا، وڤيتنام بعد انتهاء الحرب تحت وصاية القوى الأربع، (وهى: الصين، والولايات المتحدة، وروسيا، وبريطانيا). وأقر «ستالين» ذلك الاقتراح مباشرة، مضيفاً أن شعوب الهند الصينية قد تحصل على استقلالها بعد عقدين أو ثلاثة عقود. وكانت بريطانيا هى الوحيدة التى اعترضت على نهاية أحد المستعمرات الفرنسية على هذا النحو، نظراً لحرصها على إمبراطوريتها.

إلا أن الوضع داخل ڤيتنام لم يسمح بقبول حل سهل، لقد سمح اليابانيون للفرنسيين بالاحتفاظ بسيطرتهم المدنية على الهند الصينية حتى مارس ١٩٤٥، حينما أظهروا بعض التشجيع للقومية الڤيتنامية، بموافقتهم على حكومة ملكية ضعيفة، بقيادة «باو داى»، التى حلت محل الفرنسيين. وعندئذ قرر « الڤيت مينه» بدء المقاومة الفعلية، بقيادة «هو تشى مينه» الذى أفاد واشنطن أنه يريد تحقيق الاستقلال فى خلال ٥ ـ ١٠ سنوات، بالإضافة إلى الإصلاح الزراعى، وديمقراطية مبنية على الانتخابات العامة، والحيازة القومية للممتلكات الفرنسية. لقد كان على صلة وثيقة بعملاء «OSS» خلال الحرب (أساساً لإنقاذ الطيارين الأمريكيين، الذين أُسقطت طائراتهم) وقام بنسخ «إعلان استقلال ڤيتنام» نقلاً عن النسخة الأمريكية، وبعد انتهاء الحرب «لم يعد كل ذلك بأى نفع على «هو»، بسبب تغير موقف أمريكا تجاه الاستعمار الفرنسى. وبصرف النظر عن أحاسيس روزڤلت الشخصية نحو «ديجول»، فإن الجزء الأكبر من العلاقات الطيبة مع فرنسا، انعكس على موقف أمريكا من الهند الصينية.

بالإضافة إلى ذلك، ساد الولايات المتحدة خوف من إنتشار الشيوعية فى آسيا، التى اتضح أن «هو» كان جزءاً منها وزعيمها المنتظر، ولذلك وافق الأمريكيون فى أغسطس ١٩٤٥، على أن يقبل البريطانيون استسلام اليابانيين فى الهند الصينية جنوب الخط السادس عشر، على أن تقبل قوات «تشيانج» نفس الشئ شمالاً. وتمسك البريطانيون بالموقع الجنوبى إلى أن يتمكن ديجول من إرسال قواته إلى سايجون، بينما قامت قوات «تشيانج» بالانغماس فى مغانم الحرب، حتى يعود الفرنسيون إلى هانوى.

وكان للاحتلال اليابانى للهند الصينية الأثر الأكبر وراء موقف أمريكا المتشدد تجاه اليابان فى ١٩٤١، ولذلك لم يكن مستبعداً أبداً أن تتحرك مرة ثانية ـ بعد انتهاء الحرب ـ لتمنع وقوع جنوب شرق آسيا فى أيدى غير صديقة، وذلك بالرغم من نفور أمريكا من الاستعمار الفرنسى.

لقد اتخذ كثير من القرارات الأمريكية ـ فى الحرب العالمية الثانية ـ على وجه السرعة، دون تحليل متعمق؛ لأنها كانت تتعلق بقضايا ذات أولوية ثانوية نسبياً، مثل: السماح للفرنسيين بإعادة احتلال الهند الصينية. وفى بعض الحالات كان لمثل تلك القرارات انعكاسات خطيرة، مثل: قضية ڤيتنام والاتفاق على تقسيم كوريا، الذى قضى باحتلال الروس لكوريا شمال الخط الثامن والثلاثين، واحتلال الأمريكيين للمنطقة الواقعة جنوب ذلك الخط. وقد اتفق الجانبان على أن مبعث ذلك التقسيم، كان مجرد ملاءمته للطرفين، وأنه ـ فى نهاية الأمر ـ سوف تتحد المستعمرة اليابانية من جديد وتحصل على استقلالها. وكان واضحاً أن كلا الطرفين كان جاداً فى مبرراته، على الرغم من أن كليهما لم يعر كوريا كثيراً من الاهتمام.

ومع ذلك، فإن أكثر القرارات الأمريكية أهمية خلال الحرب، كان قرار صنع القنبلة الذرية ثم استخدامها، وهو قرار قامت الحكومة بدراسته ومناقشته بتمعن، وعلى أعلى المستويات. وفى ١٩٣٩، بدأ مشروع «مانهاتن» ـ الذى احيط بأعلى قدر من السرية فى الحرب ـ بغرض واحد، هو تسخير الطاقة الذرية فى إنتاج قنبلة يمكن حملها جواً، وبشرط أن يتم تصنيعها قبل الألمان. وقد علق أحد العلماء البارزين العاملين بالمشروع «ج روبرت أوبنهيمر» فيما بعد قائلا: «لقد افترضنا دائماً أن تلك القنابل سوف تستخدم عند الحاجة إليها.» وكان الاتجاه حينذاك هو اعتبار القنبلة، كمجرد سلاح عسكرى آخر.

فى منتصف ١٩٤٥، استلزم الموقف العسكرى ضرورة التفكير فى القنبلة، لأن اليابان لم تكن قد سحقت أوتحطمت، على الرغم من أنه لم يعد هناك شك فى أنها خسرت الحرب، فلقد خسرت معظم إمبراطوريتها وأسطولها فى المحيط الهادى،

ولكنها احتفظت بسيطرتها على جزء كبير من الصين، وجنوب شرقى آسيا، وكل كوريا، ومنشوريا. فلم يكن جيش اليابان قد مُسَّ تقريباً، كما كانت قواتها الجوية ـ المعتمدة على «الكاميكاز»* ـ مصدر خطر جسيم، وكان جيش اليابان يقدر بحوالى مليونين فى منشوريا للدفاع عن الجزر اليابانية، ومزودين بحوالى ٥٣٥٠ طائرة «كاميكاز» جاهزة للاستخدام، بالإضافة إلى مخزون قدره سبعة آلاف طائرة أخرى. كما كانت هناك عدة آلاف من زوارق «الكاميكاز»، وأعداد كبيرة من صغار المتطوعين لقيادة الطائرات والزوارق. ولذلك كان غزو أمريكا لجزر اليابان عملية دموية اراد «ستيمسون» تجنبها، ليس فقط تخوفاً من كم الإصابات، ولكن أيضاً لأنه لم يرد أن يبدأ سباقاً للحرب العنصرية فى المحيط الهادى، حيث كانت أعداد الرجل الأبيض تمثل أقلية.

أما العامل الرئيسى فكان الجيش الأحمر، فلو أن «ستالين» أعلن الحرب لانسحبت اليابان دون مقاومة شرسة فى معركة أخيرة. ولقد توقع چنرال «مارشال» هذا الاحتمال فعلق قائلاً فى ١٨ يونيه ١٩٤٥ : «إن هجوم الروس على اليابانيين، وهم فى تلك الحالة البائسة قد يكون القرار الوحيد الذى يمكن أن يدفعهم إلى الاستسلام». وكان رأى البحرية الأمريكية أنه يمكن محاصرة اليابانيين، بحيث تدفعهم المجاعة إلى التسليم، بينما ذهبت القوات الجوية إلى أن قذف العدو بالقنابل ـ دون استخدام القنبلة الذرية ـ يمكن أن يجبر العدو على الاستسلام (بدأ استخدام قنابل النابالم ـ التى تم تصنيعها آنذاك ـ فى الغارات على طوكيو، مما أحرز نتائج مخيفة). ولكن «ترومان» و«مارشال» رفضا تلك التنبؤات المتفائلة، فإذا كانت الولايات المتحدة تسعى إلى استسلام غير مشروط، فلابد من تدمير الجيش اليابانى أولاً وقبل كل شئ. وحيث إن اختبارات القنبلة الذرية لم تكن قد أجريت بعد فى أوائل صيف ١٩٤٥، فلم تكن هناك وسيلة لتدمير الجيش اليابانى سوى محاربته. ومن وجهة نظر «مارشال» كان من الأفضل أن يتولى الجيش الأحمر تلك المهمة بدلاً من الجيش الأمريكى.

* طيار فدائى ياباني: أحد أفراد فرقة طيران يابانية، مهمتها القيام بهجوم انتحارى على هدف عسكرى.

كان هناك بديل آخر، فمهما كانت قوة الجيش اليابانى، ومهما كان الثمن الذى يمكن للعدو أن يجبر الولايات المتحدة على دفعه فى سبيل الاستيلاء على الجزر اليابانية، فإن اليابان كانت أمة منهزمة، وكان زعماؤها مدركين ذلك تماماً، وكان بإمكانهم تأخير الهزيمة النهائية ليس منعها. لقد كانت اليابان مستمرة فى الحرب لتتجنب ذل الاستسلام غير المشروط؛ فقد كانت تسعى للحصول على شروط محددة قبل الاستسلام، وكانت قلة من الزعماء اليابانيين تحلم بالاحتفاظ بالأقاليم المنهزمة فى القارة الأسيوية، إلا أن معظمهم كانوا أكثر واقعية، بحيث أدركوا أن ذلك أمر صعب المنال وأنها سوف تخسر كل شيء باستثناء الجزر اليابانية نفسها، فانحصرت أهدافهم فى الحصول على بعض الضمانات التى تحقق لهم الحكم الذاتى فى النهاية، بالإضافة إلى ضمانات فورية بالإبقاء على الوضع المقدس للإمبراطور (كانت الصحافة الأمريكية تسرد مطالبات بعض السياسيين بمحاكمة ومعاقبة الأمبراطور كمجرم حرب).

لقد أدرك الأمريكيون أن اليابانيين يحاولون إيجاد مخرج لا يجرح كبرياءهم، وأنهم اتفقوا ـ فيما بينهم ـ على ضرورة الإبقاء على الإمبراطور لأن استبعاده كان سيؤدى إلى نشر الفوضى فى المجتمع اليابانى. ومع ذلك فقد قرر الأمريكيون ألا يطلعوا اليابانيين على نواياهم بالنسبة للإمبراطور، لأسباب تتعلق بمعنويات الشعب الأمريكى، والسياسة الداخلية؛ بالإضافة إلى رغبتهم فى إذلال العدو الذى أذلهم بهجومه على «بيرل هاربر».

فى الاجتماعات التى عقدت مع الروس فى فبراير ١٩٤٥ فى «يالطا» ضغط الأمريكيون على «ستالين» لكى يعد بدخول الحرب فى المحيط الهادى فى مقابل إجبار «تشيانج» على تقديم بعض التنازلات لروسيا على الحدود الصينية السوفيتية، فوافق «ستالين» على دخول الحرب بعد ثلاثة شهور من انتهاء الاشتباكات فى أوروبا، حيث أوضح أن القيام بهذه المهمة يحتاج لمهلة من الوقت لينقل قواته من ألمانيا إلى منشوريا. وعندما اجتمعت الدول الكبرى الثلاث ـ فى يوليو ـ فى «بوتسدام» خارج برلين، ظل الأمريكيون على موقفهم المتلهف على وجود الجيش الأحمر فى المحيط الهادى.

فى ذلك الوقت نجح اختبار القنبلة الذرية، وكان ذلك بداية عصر جديد فى تاريخ العالم، وفى أدوات السياسة الخارجية الأمريكية؛ فلن تضطر الولايات المتحدة بعد ذلك ـ أو هكذا بدت الأمور ـ إلى الاعتماد على جيوش ضخمة العدد، سواء جيوش الحلفاء أو جيوشها. لقد تميزت القنبلة الذرية بكونها أرخص من الجيوش ضخمة العدد، وأسرع منها كثيراً. وبدأ الأمريكيون فوراً فى استخدام القنبلة كأداة دبلوماسية. ولقد لخص تشرشل اتجاه الأمريكيين فى ٢٣ يوليه قائلاً: «لم تعد هناك ضرورة لدخول روسيا الحرب مع اليابان، فالمادة المتفجرة الجديدة وحدها كافية لحسم المسألة» وفيما بعد ـ وفى نفس اليوم ـ أعلن «تشرشل» فى تعليق له على حديث مع «جيمس بيرنز» وزير الخارجية، قائلا: «من الواضح أن الولايات المتحدة لا ترغب فى الوقت الحالى فى اشتراك روسيا معها فى الحرب ضد اليابان». وفى ذلك المساء كتب « ستيمسون»: إن «مارشال» الذى كان أكثر من صارع من أجل دخول روسيا الحرب «شعر ـ كما شعرت أنا ـ أننا أصبحنا الآن فى ظل ذلك السلاح الجديد؛ فى غنى عن مساعدة روسيا لهزيمة اليابان».

فى «بوتسدام» قام «ترومان» بإبلاغ «ستالين» بطريقة عرضية أن الولايات المتحدة أنتجت سلاحاً جديداً، وشعر بالسعادة لأن الزعيم السوفيتى لم يطلب منه أية تفاصيل عن ذلك السلاح. وعندئذ وافق «الكبار الثلاثة» على الإبقاء على الإمبراطور بعد استسلام اليابان، ولكنهم رفضوا إبلاغ اليابانيين بذلك، بل أصدروا إعلان «بوتسدام» الذى طالب مره ثانية بالاستسلام غير المشروط والإ تعرضوا لدمار هائل. ورفض اليابانيون الطلب لخلوه من أية ضمانات للإمبراطور؛ فأصدر «ترومان» أوامره بإسقاط القنبلة.

ما سبب مثل هذا التسرع؟ لقد أثار ذلك التساؤل قلق كل من فحص الخلاف، الذى احتدم حول قرار استخدام القنبلة. وترجع أهمية ذلك السؤال إلى ثلاثة عوامل مرتبطة ببعضها، هى: (١) إن الولايات المتحدة لم تخطط لأية عمليات عسكرية ضخمة قبل ١ نوفمبر ١٩٤٥، وبذلك كان هناك متسع من الوقت، يكفى للانتظار

حتى تصدر روسيا إعلانها بدخول الحرب (كما كان متوقعًا) وتحديد تأثير ذلك على اليابانيين، أو للانتظار حتى تتجلى مدى جدية عروض السلام من اليابانيين؛ و (٢) لم يكن من المخطط استخدام القنبلة ضد هدف عسكرى، وبالتالى لن تؤثر على الموقف العسكرى؛ و (٣) لقد توقعت الولايات المتحدة أن تدخل روسيا الحرب يوم ٨ أغسطس، تقريباً، ولكنها أسقطت القنبلة يوم ٦ أغسطس، وعندما لم يستسلم اليابانيون فوراً أسقطت قنبلة ثانية يوم ٩ أغسطس. لقد أنصب هجوم الفيزيائى البريطانى «بلاكيت» ـ وغيره فيما بعد ـ على أن تعاقب الأحداث أثبت أن استخدام القنبلة كان «أول عملية كبرى من عمليات الحرب الدبلوماسية الباردة مع روسيا»؛ إذ كان الغرض الرئيسى منها هو استبعاد روسيا من التسويات الخاصة بجنوب شرق آسيا بعد انتهاء الحرب، بدلاً من أن يكون هدفها إنقاذ أرواح الجنود الأمريكيين.

هناك تفسير آخر يدعى أن الولايات المتحدة كان هدفها من استخدام القنبلة التأثير على الروس، وأن توضح لهم أنها لن تتردد فى استخدامها. كانت الولايات المتحدة قد سحبت بالفعل الجزء الأعظم من قواتها من غرب أوروبا، كما فعلت بريطانيا، وبالتالى فإنه بحلول أغسطس ١٩٤٥ كان الجيش الأحمر المرابط فى شرق أوروبا هو أعظم قوة فى إوروبا، وبالنسبة لمن ساورهم القلق من احتمال تقدم الروس عبر نهر «إلبا»، فلقد بدا أن القنبلة هى الحل المثالى لردعهم.

إن تلك التفسيرات ليست بالضرورة خاطئة؛ إلا أنها محدودة جداً، لأنها تميل إلى التجاهل أو الاستخفاف بما تبقى من قوة مقاومة لدى اليابانيين، خاصة الفدائيين المرعبين «الكاميكاز».

كانت لدى كل فرد تقريباً ـ ممن شاركوا فى اتخاذ قرار استخدام القنبلة ـ دوافعه الشخصية؛ فبعضهم كان قلقا بسبب الفدائيين «الكاميكاز»، وبعضهم أراد معاقبة اليابانيين على «بيرل هاربر»، بينما ذهب البعض الآخر إلى أن الاستخدام الفعلى للقنبلة، كان الوسيلة الوحيدة التى تبرر للكونجرس والشعب الأمريكى إنفاق بليونين من الدولارات على إنتاجها. لقد كانت حياة الإنسان رخيصة فى عالم ١٩٤٥؛

فلقد شن البريطانيون والأمريكيون غارات جوية على «درسدن»، لم تكن لها أغراض عسكرية محددة، وهى الغارات التى ترتبت عليها مذبحة راح ضحيتها عشرات الآلاف من النساء والأطفال. ولذلك، لم تكن هناك مشكلة فى قتل عدد من اليابانيين، ولا يمكن تجاهل عامل التمييز العنصرى عند اتخاذ القرار. وفيما بعد، استبعد الكاتب العسكرى البريطانى «ليدل هارت» أن الولايات المتحدة كان يمكن اطلاقا أن تستخدم القنبلة ضد البيض فى برلين.

وربما كان أكثر التفسيرات بساطة هو أكثرها إقناعاً، لقد كانت القنبلة موجودة واليابان لم تستسلم، ولم يفكر أى شخص فى الحكومة جدياً فى عدم استخدام القنبلة، وبالتالى كان إلقاؤها فى أقرب وقت ممكن أمراً طبيعياً. ولقد أوضح «ترومان» فى هذا الصدد: «لقد ترك لى قرار تحديد مكان وزمان استخدام القنبلة الذرية، ويجب ألا يكون هناك أى خطأ فى هذا الصدد، لقد اعتبرت القنبلة سلاحا عسكرياً، ولم يراودنى أى شك فى ضرورة استخدامها».

لسوء الحظ.. لم يترتب على إلقاء القنبلة على «هيروشيما» أى رد فعل فورى من اليابانيين. وفى ذات الوقت أعلنت روسيا الحرب فى ٨ أغسطس، وتحرك الجيش الأحمر داخل منشوريا وجنوب «ساخالين»، واستسلم الجيش اليابانى فى منشوريا. ولحث اليابانيين على الاستسلام.. ألقت الولايات المتحدة فى ٩ أغسطس بقنبلة ثانية على «ناجازاكى»، التى ضمنت استسلام الحكومة اليابانية للأمريكيين. ومع ذلك ـ وحتى بعد القاء القنبلة الثانية ـ أصر اليابانيون على الحصول على ما يضمن سلامة الإمبراطور «هيروهيتو»، فقرر «ترومان» أنه لا مفر من ذلك، وقدمت الولايات المتحدة الوعد المطلوب. وأخيراً استسلمت اليابان.

احتلت القوات الأمريكية اليابان، وتم استبعاد الروس والاستراليين والبريطانيين بالطبع. ورغم أن «ماك آرثر» ـ الذى قاد عملية الاحتلال ـ كان من المفروض أن يكون مسئولا أمام كل الحكومات التى كانت فى حالة حرب مع اليابان، باعتباره القائد الأعلى لقوات الحلفاء، إلا أن حقيقة الأمر أنه كان يتلقى تعليماته من الحكومة الأمريكية فقط. وهكذا فإنه بنهاية الحرب، كانت الولايات المتحدة قد احتلت، أو سيطرت، أو تمتعت بنفوذ قوى فى أربع من خمس أهم مناطق صناعية

فى العالم، وهى: أوروبا الغربية، وبريطانيا العظمى، واليابان، والولايات المتحدة ذاتها، ولم يتبق من يعمل خارج المدار الأمريكى سوى الاتحاد السوفيتى فقط.

لقد كانت النتيجة تدعو للسخرية؛ إذ إن الولايات المتحدة فازت بأكبر المكاسب بالمقارنة بالقوى العظمى الأخرى رغم أنها قدمت أقل التضحيات. لقد أدت سياسة «روزفلت» التى ركّـزت على تجنب المواجهة المباشرة مع جيوش المحور، إلى إنقاذ آلاف الأرواح، بينما أدى إصراره على المحافظة على المستوى المرتفع نوعاً للاقتصاد المدنى، إلى تقوية الاقتصاد الوطنى. وكانت الولايات المتحدة الدولة الوحيدة فى العالم التى توفرت لديها موارد رأسمالية تمكنها من حل مشاكل التعمير بعد انتهاء الحرب وكان بإمكانها استخدام تلك الموارد بهدف التعمير أو لنشر نفوذها فى مناطق أخرى. بالإضافة إلى ذلك، كانت الولايات المتحدة تمتلك القنبلة الذرية، التى بدت فى ١٩٤٥ كأنها السلاح المطلق، خاصة وأن السياسيين الأمريكيين كانوا يؤمنون بأن لديهم السلاح السرى الذى سيضمن السيطرة العسكرية الأمريكية لعدة عقود قادمة، وذلك على الرغم من تحذيرات العلماء من أن الآخرين سوف يتوصلون إلى صنع القنبلة الذرية قريباً.

كانت هناك مشاكل، إحداها كانت فى قارة آسيا، ففيما عدا جنوب كوريا، لم تكن هناك أعداد ذات دلالة من القوات الأمريكية فى القارة، ولذلك لم تكن هناك وسيلة أمام الولايات المتحدة لممارسة نفوذها دون الاعتماد على الفرنسيين والبريطانيين والهولنديين والصينيين الوطنيين. وكان كل هولاء يعانون من كراهية الجماهير الآسيوية الغفيرة لهم. لقد نجح اليابانيون فى تشويه صورة الرجل الأبيض فى الشرق، فآمن الأسيويون بأنهم يستطيعون أن يسيطروا على حياتهم ومواردهم؛ لذا أرادوا طرد الرجل الأبيض من الهند الصينية، ومن الهند، ومن ماليزيا (الملايو سابقاً) ومن المنطقة المعروفة باسم أندونيسيا (جزر الهند الشرقية سابقاً)، ومن الفلبين. وكان على السياسة الخارجية الأمريكية أن تتكيف مع ذلك التطور التاريخى، وإلاّ تضاءل نفوذها.

إن أهم مصادر القوة الأمريكية هى قوتها العسكرية والاقتصادية، ولكن كان لديها مصدر قوة آخر يمكن اللجوء إليه، وبالرغم من أنه لم يكن ملموسا بنفس القدر، إلا أنه كان ذا قيمة مرتفعة. فى سبتمبر ١٩٤٥، كانت هيبة أمريكا وقوتها فى أعلى مكانة، لقد قدمت الولايات المتحدة المعدات والرجال لإنقاذ أوروبا وروسيا من هتلر والنازيين، ودفعت الإيطاليين إلى ترك مستعمراتهم الأفريقية، وطردت اليابانيين من الصين، والهند الصينية، وأندونيسيا، والفلبين وبورما، وكوريا. ولم تطلب الولايات المتحدة أى شئ لنفسها فى مقابل كل ذلك. لقد هتف «هوتشى مينه» محيياً الأمريكيين لأنهم الأصدقاء الحقيقيون للإنسان المظلوم على الأرض، وكذلك ـ ورغم التباين الملحوظ ـ اتخذ «شارل ديجول» و«تشرشل» وحتى «ستالين» نفسه (فى إحدى المناسبات) مواقف مشابهة. وفى عالم ملئ بالكراهية، والموت، والدمار، والخداع، والخيانة.. بدت الولايات المتحدة فى نهاية الحرب العالمية الثانية فى رأى العالم كله ـ تقريباً ـ فى دور بطلة العدالة والحرية والديمقراطية، دون أن تكون لها أغراض شخصية. إن مركز الولايات المتحدة لن يبلغ هذا المستوى المرتفع مرة أخرى.